ولا تزال تطلع على خائنة منهم قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم
المشركين على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم التي ظهرت الا قليلا منهم يعني
انهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب فاعف عنهم واصفح
اي فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم وعن مواخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن اهل الكتاب منسوخ
بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية التي في سورة براءة قاله قتادة وقيل
انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد
فاظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل هذه الاية فلم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفو عن غدرة
فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من اداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى
الاية فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغائر زلاتهم ما داموا
باقين بالعهد ان الله يحب المحسنين يعني اذا عفوت عنهم فانك محسن والله يحب المحسنين قوله عز وجل ومن
الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم لما ذكر نقض اليهود والميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى
مثل سبيل اليهود في نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى
لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به لا ان الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الانجيل
ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فنسوا حظا مما ذكروا به يعني وتركوا ما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا
فرائضه وعطلوا حدوده القى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هي الاهواء المختلفة وفي
الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان احدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم
الى يوم القيمة والقول الثاني ان المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى وسوف ينبئهم الله بما
كانوا يصنعون ان الله تعالى يخبرهم في الاخرة باعمالهم التي عملوها في الدنيا ففيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى يا اهل
الكتاب يعني اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما اخفوا وكتموا من احكام التوراة والانجيل وذلك انهم اخفوا
اية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهره وهذا
معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرا كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهار ذلك معجزة له ويعفو عن كثير يعني
مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفائدة في ذلك انهم يعلمون كون النبي صلى
الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجزة له ايضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به قد جاءكم من الله نور يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور في الظلام وقيل النور هو الاسلام
وكتاب مبين يعني القران يهدي به الله يعني يهدي الله بالكتاب المبين من اتبع رضوانه اي اتبع ما رضيه
الله وهو دين الاسلام لانه مدحه واثنى عليه سبل السلام قال ابن عباس يعني دين الاسلام لانه دين الله
وهو السلام وسبيله دينه الذي شرع لعباده وبعث به رسله وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام دار السلام
فيكون من باب حذف المضاف ويخرجهم من الظلمات الى النور يعني من ظلمات الكفر الى نور الاسلام بالايمان باذنه يعني
بتوفيقه وهدايته ويهديهم الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح ابن مريم قال ابن عباس هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية
والملكية من النصارى انهم يقولون في المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة

لانهم

لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل في بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لا جرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله
ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى قل يعني يا محمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة فمن يملك
يعني يقدر ان يدفع من الله شيئا يعني من امر الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه يعني يعدم المسيح وامه
ومن في الارض جميعا ووجه الاحتجاج على النصارى في بطلان قولهم ان المسيح لو كان الها كما يقولون لقدر على دفع امر الله
اذا اراد اهلاكه واهلاك امه وغيرهما ولله ملك السموات والارض وما بينهما انما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن
لانه اراد ما بين هذين النوعين او الصنفين من الاشياء انها ملكه واهلها عبيده وعيسى وامه من
جملة عبيده يخلق ما يشاء يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق ادم من غير اب وام وخلق عيسى من ام بلا اب
وخلق سائر الخلق من اب وام والله على كل شيء قدير يعني ان الله تعالى لا يعجزه شيء اراده فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه
قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن اضا
وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا
يا محمد نحن والله ابناء الله واحباؤه كقول النصارى فانزل الله فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الاية
وسبب هذه الاية ما حكاه السدي قال اما اليهود فانهم قالوا ان الله اوحى الى اسرائيل ان ولدك بكري من الولد فادخلهم
النار فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم وتاكل خطاياهم ثم ينادي مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فاخرجهم
فذلك قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فرقا منهم يقولون للمسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على
الله تعالى فاما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه يحدبه وعطفه عليهم كالاب الشفيق على الولد واما وجه
قول النصارى فانهم لما قالوا في المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله لهذا السبب وقيل
ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن ابناء رسل الله واما النصارى فانهم تاولوا
قول المسيح اذهب الى ابي وابيكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا ابانا الذي في السماء لنقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر
هذه المقالة ولو علموا لعلموا ان المسيح ان صحت هذه المقالة عنه فان تاويلها انه بره ورحمته وعطفه على
عباده الصالحين كالاب الرحيم لولده وجملة الكلام في ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا
على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى انتهوا في تعظيم انفسهم الى ان قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فابطل
الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى قل فلم يعذبكم بذنوبكم معناه ليس الامر كما تزعمون
بل يعذبكم الله وانتم قد اقررتم على انفسكم يعني انه يعذبكم اربعين يوما وهل رايتم والدا يعذب ولده بالنار
وهل تطيب نفس محب ان يعذب حبيبه في النار بل انتم بشر ممن خلق يعني بل انتم يا معشر اليهود والنصارى
كسائر بني ادم مجزيون بالاساءة والاحسان وقوله تعالى يغفر لمن يشاء يعني لمن تاب من اليهودية
والنصرانية ويعذب من يشاء يعني من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدي من يشاء فيغفر له ويميت
من يشاء على كفره فيعذبه ولله ملك السموات والارض وما بينهما يعني انه تعالى يملك ذلك لا شريك له في ذلك فيعارضه
وهو الذي يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على انه تعالى لا ولد له لان من يملك السموات والارض
يستحيل ان يكون له شبيه من خلقه او شريك في ملكه واليه المصير يعني والى الله مرجع العباد في الاخرة فيجازيهم
باعمالهم قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة
وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه
وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا ما قلنا ذلك لكم وما انزل الله من كتاب بعد
موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده فانزل الله هذه الاية يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه

Copyright © King Saud University